يحكى أن

٤

مالك الحزين والثعلب

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يُمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس: ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

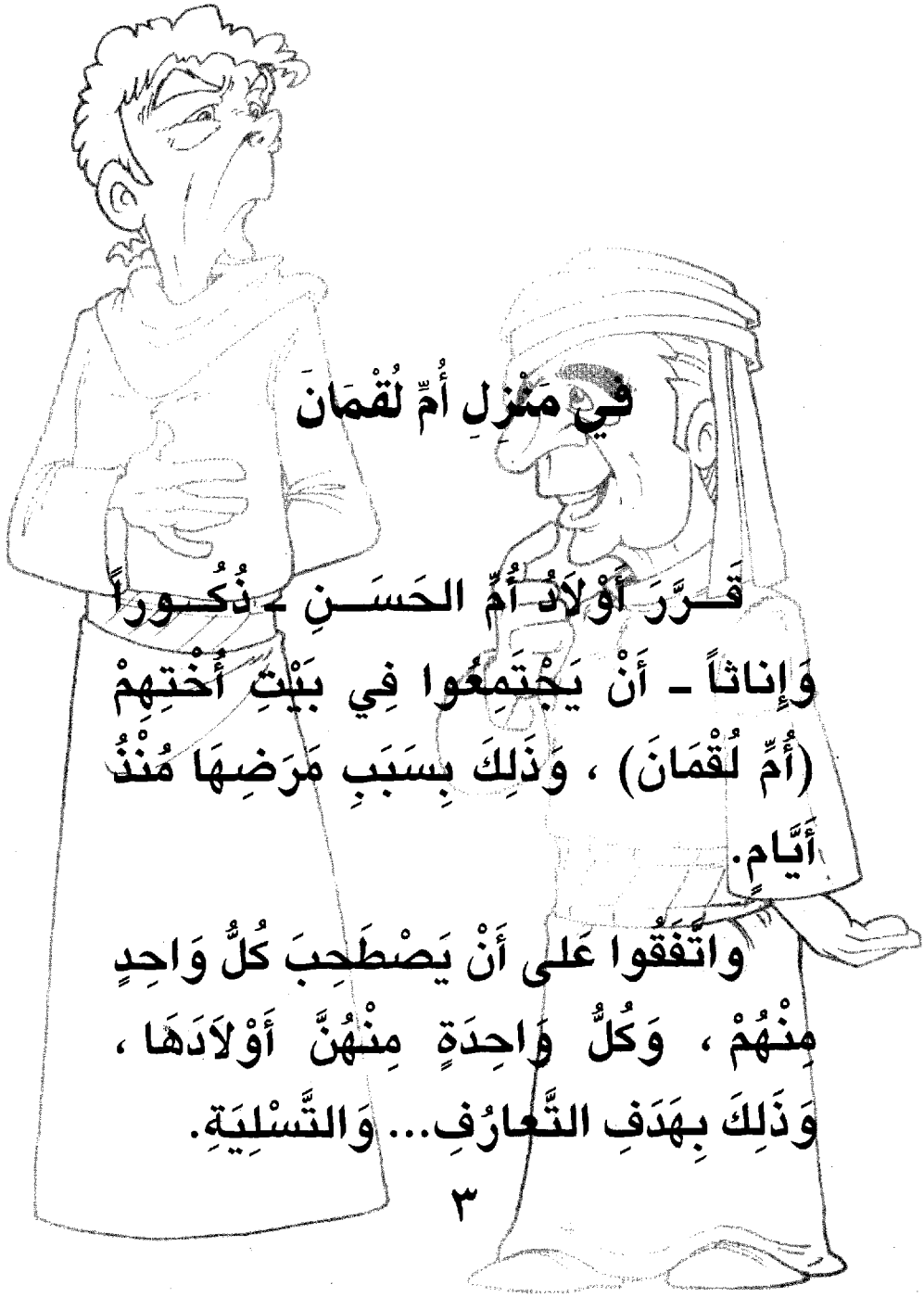

فِي مَنْزِلِ أُمِّ لُقْمَانَ

قَـرَّرَ أَوْلاَدُ أُمِّ الحَسَـنِ ـ ذُكُـوراً وَإِناثاً ـ أَنْ يَجْتَمِعُوا فِي بَيْتِ أُخْتِهِمْ (أُمِّ لُقْمَانَ) ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ مَرَضِهَا مُنْذُ أَيَّامٍ.

وَاتَّفَقُوا عَلى أَنْ يَصْطَحِبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ أَوْلاَدَهَا ، وَذَلِكَ بِهَدَفِ التَّعارُفِ... وَالتَّسْلِيَةِ.

وَبِالفِعْلِ حُدِّدَ المَوْعِدُ فِي مَسَاءِ يَوْمِ الخَمِيْسِ. وَكُلِّفَ أَحَدُهُمْ ، وَهُوَ الشَّابُّ (مَأْمُون) بِشِرَاءِ الفَوَاكِهِ ، والخُضَار ، واللَّحْمِ. وَذَلِكَ بِهَدَفِ صُنْعِ طَعَامٍ جَمَاعِيٍّ فِي بَيْتِ أُخْتِهِمُ الَّتي مَاتَ زَوْجُهَا مُنْذُ شَهْرَيْنِ.

بَيْنَمَا كَانَتْ مُهِمَّةُ (سَعِيْدٍ) أَنْ يَأْخُذَ وَالِدَتَهُمْ أُمَّ الحَسَنِ بِسَيَّارَتِهِ المُرِيْحَةِ إِلى بَيْتِ ابْنَتِهَا أُمِّ لُقْمَان.

وَفِي المَسَاءِ فُوجِئَتْ (أُمُّ لُقْمَانَ) بِمَا يَحْدُثُ: أَوْلادُ أَخَوَاتِهَا ، وَأَوْلادُ إِخْوَتِهَا وَقَدْ جَاؤوا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ،

وَإِخْوَتُهَا ، وَأَخَوَاتُها ، يَجْتَمِعُونَ فِي بَيْتِهَا وَلأوَّلِ مَرَّةٍ. وَأَمَّا الَّذِي جَعَلَهَا تَفْرَحُ أَكْثَرَ فَهُوَ رُؤْيَتُها وَالِدَتَهَا وَهِيَ تَنْزِلُ مِنَ السَّيَّارَةِ عِنْدَ بَابِ البَيْتِ.

٥

وَقُبَيْلَ المَغْرِبِ اجْتَمَعَ الجَمِيعُ عَلى مَائِدَةِ الطَّعَامِ ، وَالَّتِي أُعِدَّتْ في حَدِيْقَةِ المَنْزِلِ.

وَبَعْدَ تَنَاوُلِ الغَدَاءِ.. وَالحَلْوَيَاتِ وَشَرَابِ البُرْتُقَالِ البَارِدِ. اجْتَمَعَ الأَوْلاَدُ حَوْلَ جَدَّتِهِم (أُمِّ الحَسَنِ) وَرَاحُوا يُلِحُّونَ عَلَيْهَا بِالطَّلَبِ؛ لِتَحْكِيَ لَهُمْ وَاحِدَةً مِنْ حِكَايَاتِهَا الجَمِيْلَةِ.

بَيْنَ الثَّعْلَبِ والحَمَامَة

وَاسْتَجَابَتْ (أُمُّ الحَسَنِ) لِمَطَالِبِ أَحْفَادِهَا ، وَرَاحَتْ تَحْكِي لَهُمْ هَذِهِ الحِكَايَةَ: اعْتَادَتْ حَمَامَةٌ أَنْ تَضَعَ بَيْضَهَا فِي عُشٍّ عَلَى رَأْسِ نَخْلَةٍ طَوِيْلَةٍ.

وَلَكِنَّ المُشْكِلَةَ الَّتِي كَانَتْ تُعَانِي مِنْهَا هِيَ الصُّعُوْدُ إِلَى أَعْلَى النَّخْلَةِ ، فَالأَمْرُ مُتْعِبٌ ، وَشَاقٌّ.

إِلا أَنَّهَا نَسِيَتْ هَذِهِ المُشْكِلَةَ أَمَامَ مُشْكِلَةٍ أَعْظَمَ بِكَثِيْرٍ ، جَعَلَتْهَا فِي حَيْرَةٍ

مِنْ أَمْرِهَا، وَلا تَعْرِفُ كَيْفَ تَخْرُجُ مِنْهَا!.

ذَلِكُمْ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَضِنُ بَيْضَهَا فِي العُشِّ حَتَّى التَّفْقِيسِ، وَخُرُوْجِ الفِرَاخِ الصَّغِيْرَةِ.

وَالغَرِيْبُ فِي الأَمْرِ أَنَّ ثَعْلَباً مَاكِراً كَانَ يَأْتِي إِلَى أَسْفَلِ تِلْكَ النَّخْلَةِ الطَّوِيْلَةِ، فَيَقِفُ، وَيَصِيْحُ بِالحَمَامَةِ قَائِلاً: إِمَّا أَنْ أَصْعَدَ إِلَى عُشِّكِ فِي أَعْلَى النَّخْلَةِ، فَآكُلَ الفِرَاخَ، وإِمَّا أَنْ تُلْقِي لِي وَاحداً مِنْهَا.

وَمِنْ شِدَّةِ خَوْفِهَا، وَحِرصِهَا عَلَى

فِرَاخِهَا كَانَتْ تُضَحِّي بِوَاحِدٍ مِنْهَا؛ فِي سَبِيْلِ إِنْقَاذِ البَقِيَّةِ!.

وَذَاتَ يَوْمٍ مَرَّ (مَالِكٌ الحَزِيْنُ) فَرَأَى الحَمَامَةَ وَاقِفَةً عَلَى النَّخْلَةِ ، وَعَلاماتُ الغَمِّ ، والهَمِّ ، والحُزْنِ ظَاهِرَةٌ عَلَى وَجْهِهَا ، فَقَالَ لَهَا: يَا حَمَامَةُ! لِمَاذَا أَنْتِ حَزِيْنَةٌ ، وَيَائِسَةٌ؟.

أَجَابَتْ: إِنَّ سَبَبَ حُزْنِي هُوَ ثَعْلَبٌ مَاكِرٌ ، كُلَّمَا فَقَّسَ البَيْضُ ، وَخَرَجَتِ الفِرَاخُ جَاءَ يُهَدِّدُنِيْ ، مِمَّا يَضْطَرُّنِي إِلَى أَنْ أَرْمِي لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَاحِداً مِنْهَا! فَقَالَ لَهَا مَالِكٌ الحَزِيْنُ: سَأُعَلِّمُكِ

أَمْـرَاً يَجْعَلُـكِ تتخلَّصِيْـنَ مِنْـهُ وَمِـنْ تَهْدِيْدَاتِهِ.

قَـالَـتْ: وَكَيْـفَ ذَلِـكَ يَـا مَـالِـكُ الحَزِيْنُ؟!.

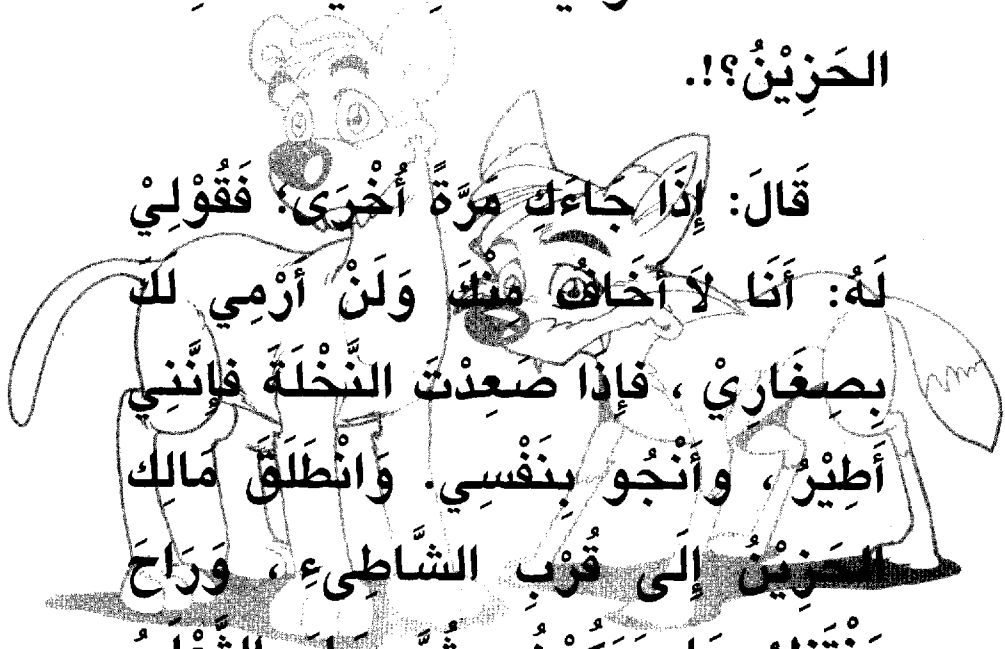

قَالَ: إِذَا جَاءَكِ مَرَّةً أُخْرَى؛ فَقُوْلِيْ لَهُ: أَنَا لاَ أَخَافُ مِنْكَ وَلَنْ أَرْمِي لَكَ بِصِغَارِيْ ، فَإِذَا صَعِدْتَ النَّخْلَةَ فَإِنَّنِي أَطِيْرُ ، وَأَنْجُو بِنَفْسِي. وَانْطَلَقَ مَالِك الحَزِيْنُ إِلَى قُرْبِ الشَّاطِىءِ ، وَرَاحَ يَنْتَظِرُ مَا سَيَكُوْنُ ، ثُمَّ جَاءَ الثَّعْلَبُ وَرَاحَ يُهَدِّدُ الحَمَامَةَ ، وَقَالَ: إِمَّا أَنْ تُخْرِجِيْ حِصَّتِي. وإِلا...!!

فَأَجَابَتْهُ بِمَا عَلَّمَهَا مَالِكٌ الحَزِيْنُ ، فَقَالَ الثَّعْلَبُ المَاكِرُ: مَنْ عَلَّمَكِ هَذَا؟

قَالَتْ: عَلَّمَنِي مَالِكٌ الحَزِيْنُ ، وَهُوَ الَّذِي نَصَحَنِيْ بِهَذِهِ النَّصِيْحَةِ!!.

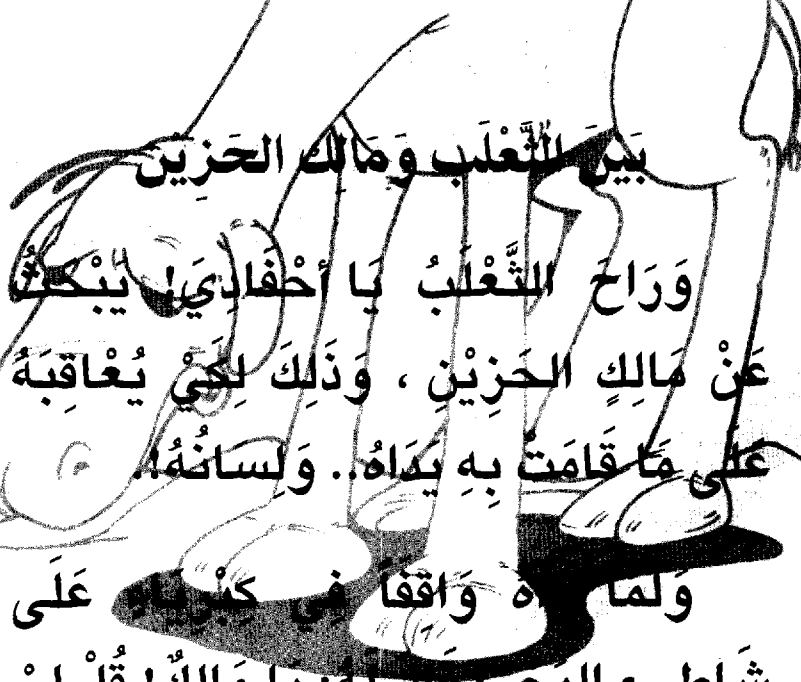

بَيْنَ الثَّعْلَبِ وَمَالِكِ الحَزِيْنِ

وَرَاحَ الثَّعْلَبُ يَا أَحْفَادِيَ! يَبْحَثُ عَنْ مَالِكِ الحَزِيْنِ ، وَذَلِكَ لِكَيْ يُعَاقِبَهُ عَلَى مَا قَامَتْ بِهِ يَدَاهُ.. وَلِسَانُهُ!.

وَلَمَّا رَآهُ وَاقِفًا فِي كِبْرِيَاءٍ عَلَى شَاطِىءِ البَحْرِ قَالَ لَهُ: يَا مَالِكُ! قُلْ لِيْ

إِذَا هَبَّتِ الرِّيْحُ عَنْ يَمِيْنِكَ؛ فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ؟

أَجَابَ مَالِكٌ: أَجْعَلُهَا عَنْ شِمَالِيْ.

فَقَالَ الثَّعْلَبُ: فَإِذَا هَبَّتِ الرِّيْحُ عَنْ شِمَالِكَ ، فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ؟

أَجَابَ مَالِكٌ الحَزِيْنُ: أَجْعَلُهَا عَنْ يَمِيْنِي أَوْ وَرَائِيْ

فَقَالَ الثَّعْلَبُ المَاكِرُ: فَإِذَا جَاءَتْكَ الرِّيْحُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَكُلِّ نَاحِيَةٍ؛ فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ؟! أَجَابَ مَالِكٌ: أَضَعُ رَأسِي تَحْتَ جَنَاحي.

قَالَ الثَّعْلَبُ: وَكَيْفَ تَضَعُ رَأْسَكَ

تَحْتَ جَنَاحِكَ؟ فَأَنَا لا أَتَصَوَّرُ كَيْفَ يُمْكِنُكَ ذَلِكَ؟!.

قَالَ مَالِكُ الحَزِيْنُ: هَذِهِ مَسْأَلَةٌ بَسِيْطَةٌ جِدًّا!.

ثُمَّ طَلَبَ الثَّعْلَبُ مِنْ مَالِكٍ أَنْ يَقُوْمَ أَمَامَهُ بِالْعَمَلِ عَلَى تَطْبِيْقِ تِلْكَ الأَدْعَاءَاتِ، عَسَى أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْهُ ذَلِكَ.

وَعِنْدَئِذٍ شَعَرَ مَالِكُ الحَزِيْنِ بِالغُرُوْرِ، وَأَدْخَلَ رَأْسَهُ تَحْتَ جَنَاحِهِ، بَيْنَمَا كَانَ الثَّعْلَبُ المَاكِرُ يَنقَضُّ عَلَيْهِ، وَيُمْسِكُهُ بِمَخَالِبِهِ، وَيَدُقُّ عُنُقَهُ. ثُمَّ يَقُولُ لَهُ:

يَا عَدُوَّ نَفْسِكَ! تَنْصَحُ الحَمَامَةَ ، وَتُعَلِّمُهَا الحِيْلَةَ ، وَلَكِنَّكَ لا تُعَلِّمُ نَفْسَكَ مِثْلَ ذَلِكَ؟ أَوَ تَعْجِزُ عَنْ إِسْدَاءِ النَّصِيْحَةِ لِنَفْسِكَ ، وَذَلِكَ بِهَدَفِ ألا يَتَمَكّن مِنْكَ عَدُوُّكَ ، وَهَذِهِ نِهَايَةُ مَنْ يَنْصَحُ غَيْرَهُ ، وَيَنْسَى نَفْسَهُ.. ثُمَّ أَجْهَزَ عَلَيْهِ ، وَأَكَلَهُ!!.

مَاذَا نَسْتَفِيْدُ مِنْ هَذِهِ الحِكَايَةِ؟

وَلَمَّا أَنْهَتِ الجَدَّةُ (أُمُّ الحَسَن) حِكَايَتَهَا الجَمِيْلَةَ ، صَفَّقَ الأَحْفَادُ تَصْفِيْقَاً حاراً ، وَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَطَالَ اللهُ

عُمُرَكِ يَا جَدَّتِي! وَذَلِكَ لِكَيْ تَحْكِيَ لَنَا حِكَايَاتٍ كَثِيْرَةً.

وَبَعْدَ أَنْ ضَحِكَتِ الجَدَّةُ قَالَتْ: فَمَنْ يُحَدِّثُنَا عَنْ أَهَمِّ الدُّرُوْسِ ، وَالعِبَرِ الَّتي نَسْتَفِيْدُهَا مِنْ هَذِهِ الحِكَايَةِ؟

وَانْبَرَى (عَلاءٌ) وَرَاحَ يَتحَدَّثُ قَائِلاً: إِنَّ مِنْ أَهَمِّ الدُّرُوسِ الَّتي نَسْتَفِيْدُ مِنْهَا هُنَا هُوَ: ألا نَنْصَحَ أَحَدَاً قَبْلَ أَنْ نَنْصَحَ أَنْفُسَنَا ، فَالنَّفْسُ أَوْلَى بِالتَّعَلُّم ، والتَّأَدُّبِ ، وَالنَّصيْحَةِ مِنَ الآخَرِيْنَ.

وَهَزَّتِ الجَدَّةُ رَأْسَهَا ، ثُمَّ قَالَتْ:

وَجَائِزَةُ اليَوْم مِنْ نَصِيْبِ (عَلاء)..،
وإِلَى لِقَاءٍ قَرِيْبٍ مَعَ وَاحِدَةٍ مِنْ حِكَايَاتِ الجَدَّةِ (أُمِّ الحَسَنِ).

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

* * *